الباحث الأستاذ أحمد العناني :

• رابطة الأدب الإسلامي العالمية تمثل فكرة رائدة نحو توحيد الثقافة الإسلامية.

• ماأحسست بغربة ولا بخوف ولا بمرض ولا بفقر وأنا أترك كل سربي لأطير نحو نور الله

أحمد العناني

حوار
د.عمر عبد الرحمن الساريسي

من أبرز الملتزمين بالفكر الاسلامي في فلسطين والأردن، منذ أن كان طالباً في الكلية العربية بالقدس الشريف، في نهايات العقد الثالث من هذا القرن. فهو من مواليد «حلحول» من أعمال الخليل بفلسطين عام ١٩٢١م. عمل مدرساً للآداب وتوفر على امتحان المعلمين الأعلى بفلسطين، وحصل على الشهادة الجامعية الأولى في الآداب «ب.ع» من جامعة لندن.

بدأ حياته العملية في تدريس اللغة الانجليزية والعربية في مدرسة الخليل الثانوية ثم في الكلية العلمية الإسلامية بعمان.

وفي عام ١٩٧١م التحق بحكومة قطر مستشاراً للشؤون الثقافية، ورئيساً لقسم الترجمة والوثائق. وفي هذه المدة أنجز أبرز أعماله المكتوبة ومنها: مخطوط في ألف وخمسين صفحة عن تاريخ الخليج العربي، ومخطوط عن مدينة الدوحة، وترجم أربعة عشر مجلداً شكلت الموسوعة المعروفة بدليل الخليج. وقد قام بهذا العمل وحده في مدة لم تزد عن ست سنوات.

نشر كتبه في عمان والقاهرة والدوحة في حقول التاريخ والترجمة والأدب، من ذلك مجموعتان قصصيتان الأولى حبّة البرتقال وقد صدرت عام ١٩٦٢م عن دار المعارف بالقاهرة، والأخرى مجموعة من القصص الإسلامي بعنوان مواكب العلماء، وقد صدرت في القاهرة أيضاً.

وفي عمان نشر مجموعة من الكتب الإسلامية هي الأدب من منظور إسلامي، وفلسطين من منظور إسلامي، والتاريخ من منظور إسلامي، والوطن والعروبة من منظور إسلامي. وقد بلغ مجموع كتبه اثنين وثلاثين كتاباً ليس منها الموسوعة الآنفة الذكر، وقد توجهنا إليه بعدة أسئلة أجاب عليها جميعا بكل مودة وتقبل.

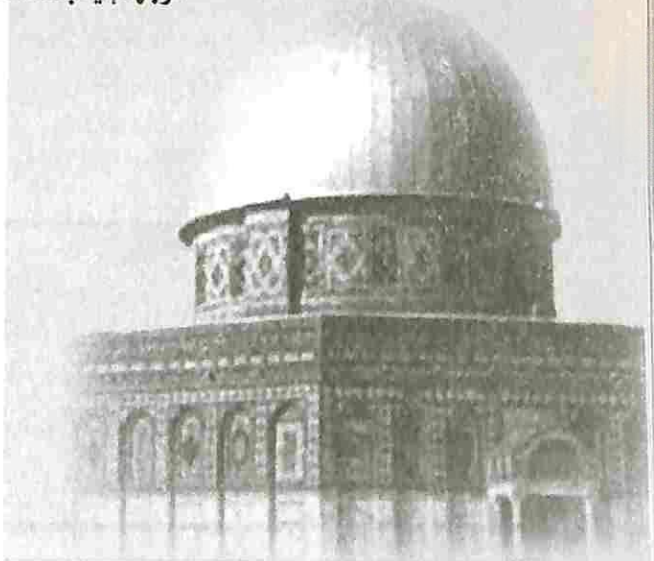

*** أنت من الكتاب القلائل الذين كتبوا في الأدب الاسلامي منذ وقت مبكر، فهلا حدثتنا عن أسباب تخيرك لهذا الأدب في البدايات من الخمسينات؟**

- ملاحظتك عن ندرة الكتاب الإسلاميين خارج مصر في نهاية الجزء الأول من القرن ملاحظة صحيحة، ولذلك أسباب، أهمها انبهار العرب بالحركة القومية ربما كرد فعل لحركة الاتحاد والترقي التركية، وما كشف عن الأتراك في عهد كمال أتاتورك الذي كان بشهادة الوثائق البريطانية والفرنسية وغيرها يأتمر بأمر قوى غربية، آخر ما يشغل بالها مستقبل الإسلام والمسلمين.

لكن التعميمات في مثل هذه الأمور لا تفيد الحقيقة، كان أبي - بمقاييس عصره رجلا مثقفا، خاصة في موضوع المسألة الشرقية، التي كان يعلم

تفصيلاتها علما مذهلا - دون أي مبالغة، وكان أبي في ريعان عمره ملازما في الجيش التركي، ومتحمسا للوحدة الإسلامية، ولاشك أنه أثر فيّ بعمق، وعزز ذلك التأثير وَرَعُ والدتي، رحمة الله عليها.

كنت أتلمس في فلسطين رجلا يتحمس للرابطة الإسلامية، إلى أن ظننت من بعيد، أن رجلا في اسمه «رستم»، ولا أدري أذلك اسمه أم اسم أسرته.. لم يكن عربيا، وكان يكتب ممجدا للإسلام.. وحين أتيح لي، وأنا طالب في الكلية العربية، أن أراه يدخن السيجارة في رمضان، وهو في أحسن صحة، كفرت به كفرا تاما، وأخبرته برأيي فيه، فقال : «أنت تلميذ تأخذ الأمور بجد» تقديري للإسلام لا يعني أنني مسلم ملتزم»! كان هناك انشقاق حقيقي بين العقيدة والعمل.. وكنت أصعق لدى ملاحظتها.. ثم جاء زائر أجنبي بمنصب عال جدا مع مدير المعارف الإيرلندي، فاريل، فأبدى استهجانه أن يرانا نحفظ «هوراس» و«فرجيل»، في الكلية العربية بالقدس، بينما تهيأ للإسرائيليين فرص تعليم التكنولوجيا والارتقاء لأعلى مستويات العصر.. وأثرت فيّ ملاحظات الرجل التي وصلت واضحة إلى سمعي.. وحولتني إلى تيار الثقافة الإسلامية، والعلوم الإسلامية، وسيرة الرسول ﷺ ، والتاريخ الإسلامي وكان هناك سؤال خطير أرقني جدا، وهو «لماذا توقفت عجلة الحياة والعلم في العالم الإسلامي؟ لماذا؟ مع أن القرآن العظيم ثورة ضد الظلم، وسوء توزيع الثروات، والخرافة، والجهل، والكسل، والعجز ؟ وقررت البحث عن الجواب في دراسة ناقدة لكل العصور الإسلامية، بدءاً من خلافة عثمان، رضي الله عنه، وانتهاء بهذه الأيام «أعني عصر الخمسينات».

ولم أزل طالبا يحاول الرد على تلك التساؤلات.. صحيح أني وصلت لمجموعة من القناعات، منها انبعاث القبلية الجاهلية، وسوء التصرف بأموال بيت المال، وتعطيل مؤسسة أهل الحل والعقد، ومواجهة المعارضة من الشيعة والخوارج وغيرهم بحد السيف، وأمور أخرى.

ووجدتني أقف حياتي كلها وأنذرها للإسلام.. الإسلام كان معي وأنا أُعَلم، ومعي وأنا أحاضر، ومعي وأنا أترجم، ومعي وأنا أذيع، الإسلام مفترى عليه، وهو قادر على إنقاذ البشرية من كل مظاهر أزمتها الحالية الطاحنة، وأن التوجه الحالي نحو العولمة وحقوق الإنسان يشكل تعزيزا لجانب من رسالة الإسلام العظمى.

*** ألم تكن تحس بالغربة وأنت تطير خارج السرب وحدك، والناس بين وطني وأممي؟ ماذا كانت تعني لك هذه الغربة؟**

- أؤكد لك بكل الصدق أنني ما أحسست بغربة، ولا بخوف، ولا بمرض، ولا بفقر، وأنا أترك كل سربي، لأطير حيثما أظن أنني متوجه إلى نور الله.

لم أكن وطنيا، لأنني أكره الانتهازية كره الموت، وأكثر هؤلاء انتهازيون طلاب وظائف وكراسي وامتيازات، ولم أكن أمميا بالمعنى الشيوعي لأنني أحترم نفسي كذات كرمها الله بحق.

*** «حبة البرتقال» عمل أدبي وقصصي، فيه الانتماء للوطن والالتزام بالدين، فهلا حدثتنا كيف جمعت بين هذه الأطر؟**

- من قال إن الله تعالى ورسوله ﷺ، زهدا المؤمن في وطنه؟! أليس الله الذي يوصي بذي القربى؟ أليس الله تعالى يدعو إلى التعاون على البر والتقوى؟

كل قيمة عربية رائعة داخلة في الإسلام، وتلاقي احترامه، ولكن الإسلام ضد العصبيات العرقية، واعتبارات الدم الأزرق، والتعاون على المنكرات والظلم.

الإسلام طبعا ضد مُثُل النازية، والفاشية، والاتحاد والترقي، وبعض توجهات القوميين العرب.

أرجو الرجوع إلى كتابي «الوطن والعروبة من منظور إسلامي».

*** مقالاتك في «الأفق الجديد» تمثل الخط الإسلامي في المقالة» ماهي قناعاتك في هذا الخط وماهي استمراريته؟**

- كتاباتي في الأفق الجديد المقدسية، وفي المنار، والدستور، ورسالة المعلم، والعهد، والدوحة ، والعرب، والهيرلد تربيون، والرأي، والإسلام اليوم «المغربية» و«اليوم» السعودية، وغيرها.. هو.. هو.. الإسلام - مشكلاته، تاريخه، أنماطه المثلى - إحياء كل ما اندثر على يد المسلمين من مزاياه.. إلخ.

الإسلام معي وأنا أعلم، ومعي وأنا أحاضر، ومعي وأنا أترجم، ومعي وأنا أذيع. الإسلام مفترى عليه، وهو المنقذ الوحيد للبشرية من كل مظاهر أزمتها الحالية الطاحنة

شيء واحد أنا يا سيدي ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾

*** كان يشارك معك في «الأفق الجديد» مجموعة من الشعراء الذين عرفوا لاحقا بالشعراء الإسلاميين – أحمد فرح عقيلان – عبد الرحمن بارود، أمين شنار، وليد الأعظمي، فما رأيك في هؤلاء الشعراء وفي أشعارهم؟**

– أذكر أنني ظللت أرى التوجه الإسلامي عند هؤلاء جميعا، مع نزعة صوفية عميقة ومشرقة عند أمين شنار.

*** هل الأدب الإسلامي في إطار اللغة العربية أكثر ترجمة وأصالة للفكر الإسلامي من ذاك الملتزم بالإسلام، المكتوب بغير العربية؟**

– المضامين والمحتويات الإسلامية تجد في العربية أروع إطار، يبرز جمالها السامي، وأسلوبها الإلهي الأمثل.. ولا يمكن للنصوص الأساسية كالقرآن والحديث أن تصل ترجمتها في أية لغة إلى مستواها الرفيع بالعربية، وأية ترجمة لمعاني القرآن الكريم مهما بلغت دقتها لا تسمى قرآنا، ولا يمكن أن تحمل روعة النص الإلهي العربي المعجز بحال.

إن أية أفكار لمسلمين غير عرب في غير تلك النصوص لابد أن تظهر باللغة التي كتبت بها رائعة حقا، وهذا هو الحال مع المرحوم محمد إقبال.. إن قراءته بالأردية تثير انفعالات وقناعات أكبر مما تفعل بأية لغة، لكن إقبالاً لو كانت العربية لغته الأم لكان لنظمه بها رونق أسمى وحلل أثمن من الأردية أو الإنجليزية.

أدب إقبال إسلامي عالمي إنساني، وروعته في الدرجة الأساسية تكمن في مضمونه.. إنني أحب إقبالاً حين أقرؤه بالعربية أو الإنجليزية، وأتمنى لو كنت أعرف الأردية والتعرض لقيمة إقبال كمثل القول للشمس : يا شمس أنت مضيئة.. رحم الله محمد إقبال.

*** ماذا ترى في رابطة الأدب الاسلامي العالمية وفي مكاتبها وفي مجلتها؟**

– رابطة الأدب الإسلامي العالمية تمثل فكرة رائدة نحو توحيد الثقافة الإسلامية في العالم، كمقدمة لإعادة توصيل مزقه التي مزقها الاستعمار.

إنني أجل العلامة الندوي إجلالا كبيراً، ولقد زرت جامعة عليكرة معقله وأمثاله من حماة الإسلام في الهند، والفكرة رائعة، وقد تشرفت مراراً بإثبات عضويتي فيها على صدر العديد من مقالاتي..

إنني سعيد بتكاثر مكاتب الرابطة في العالم الإسلامي، وإني أكون سعيدا بكل فرصة تتاح لدعمي مكتب عمان أو أي مكتب آخر إننا جميعا في مركبة واحدة، هدانا الله للتواد والتراحم.

ولكني أكرر نصحا قديما لي يضبط البريد المتبادل بين المكاتب، والالتزام بموعد دقيق لا يتغير بصدور المجلة وتوافرها في أطراف العالم الإسلامي.. وأوصي بالالتزام الدقيق بزواياها الثابتة، وكتابها، ما ظلوا أحياء.. وإن شاء الله سيكون لي جهد مسعد في هذا الصدد قريبا جدا.

*** ماذا تؤمل من حَمَلَة راية الأدب الإسلامي في الوقت الحاضر؟**

– أولا: المساهمة في قيادة التوجهات الإسلامية الفكرية، وجلاء حقيقة الإسلام في وجه وسائل الإعلام الفاجر المعادية، وسعيها لتصوير المسلمين وكأنهم وحوش وسفكة دماء وأعداء للإنسانية.

ثانيا: رفع مستوى ما ينشر في كل المجالات لزيادة احترام المجلة والأخذ عنها.

ثالثا: في كتابي «الأدب من منظور إسلامي» الصادر بعمان، أواخر الثمانينات، صورة وافية عن فهمي للأدب الإسلامي.. الإسلام هو الحقيقة، وهو الحل الأمثل، وهو الحقيقة البازغة من ركام الجهل والإذلال والاستعمار، والأدب الإسلامي هو صورة هذه النهضة العظمى، وهو الأدب الذي يبقى.

*** بماذا تحب أن تنصح أدباء الإسلام؟**

– أنصحهم بالصدق مع الله تعالى، ومع رسوله الكريم، ومع أنفسهم، وأنصحهم بالتأمل الناقد، والقراءة المستفيضة العميقة، والنظر الدقيق في كيفية وضع الحلول اللازمة للمواءمة الممكنة بين أصالتنا وحاجاتنا للتغيير والتقدم والقوة.

*** ماذا ترى في فلسطين : وطنا جغرافيا نحبه، أم داراً إسلامية يقتضينا الدفاع عنها؟**

– فلسطين وطن باركه الله، وبارك حوله، وأعز شأنه، وأبدع جوه، وزكى ثمره، وأوجب الجهاد فيه إلى قيام الساعة.

فلسطين ركن من ديننا، وشرط لمرضاة الله عنا، وضرورة لاستعادة عزة الأمة ورأب صدعها، وضمان لنهضة المسلمين.

سئل عبدالله بن المبارك :

لو أن الله أوحى إليك : أنك تموت العشية، فماذا أنت صانع ؟

فقال : أقوم وأطلب العلم حتى يأتي الممات.